خواطر مرسلة

# النعجة السوداء

للأستاذ حامد بدر

(تلك قصة قصيرة ، سمعتها من رجل قروى فلخصتها فى هذه السطور)

فى مكان ناء عن العمران ، حيث السكون سائد لا يشوبه ضجيج ، والهواء طلق لا يعوقه بناء ، والفضاء رحب لا يحد من سعته شىء ، والقبة الزرقاء تتحدى كل القباب بروعتها وجلالها ، وتفيض على الأرض من خيرها وبرها ، ونورها وظلها ... وفى إغفاءة يقظى ، تنيم النفس أمنا ، وتوقظها إيمانا ، وفى هدأة خالصة مخلصة يرجع فيها من خلق إلى من خلق ، ويستجم العقل المكدود المحدود ... كان أحد الملوك مصطحبا وزيره ابتغاء النزهة الهادئة الطليقة ، المجردة من مظاهر السلطان والجاه . وبينما هما سائران إذا براع يرعى غنما ، وقد افترش من الأرض مكانا خشنا ، مستظلا بصفصافة حانية ، فى جوار قناة جارية ، وبين يديه لقيمات يابسات ، يتناولها فى رضا واطمئنان ، ثم يميل على النمير الجارى ، فيروى ظمأه ويحمد الله . وبعد قليل يخرج من جيبه قصبة تشبه الناى ، ويطلق صفيره فى الفضاء ، فيقطع السكون السائد بلحن حلو طروب ، له فى كل ناحية صدى ، وكأنه يملك الدنيا بأسرها !

تعجب الملك ووزيره لهذا القانع الراضى ، الذى لم يعكر صفوه شىء من أكدار الحياة ، فناداه الملك وسأله : كيف حالك ؟ فقال : كما ترى يا سيدى ، أحمد الله على ما أعطانى من نعمة ، وما وهبنى من عافية . قال الملك : ما أحسن إيمانك ، وما أجمل شكرانك ! ولكن أما يزعجك فى حياتك الهادئة شىء ؟ قال : لا شىء سوى هذه النعجة السوداء ، فكثيرا ما تشذ عن زميلاتها ، وتستعمل قرنيها فى الأذى ، فتقطع غنائى ، وتكدر صفوى ... ! ففكر الملك قليلا ثم قال : طابت حياتك أيها الرجل لولا النعجة السوداء ،

وبعد أن ابتعد عن الراعى رأى الوزير الملك مفكراً ، كأن أمراً شغله ، فقال : أعزك الله يا مولاى ، وجعل السعادة ظلا للملك العزيز ، ليت شعرى ما يشغل بال الملك ؟ أرجو ان يكون خيراً وأومأ الملك شاكرا ، وظل فى تفكيره برهة ثم قال : ماذا تركت فى نفسك هذه النزهة من أثر؟ وهل رأيت فيها شيئا من الغرابة؟ قال الوزير : لا غرابة - يا مولاى - فى جمال النزهة وترويحها وهدوئها ، ولكن الغرابة فى قصة الراعى . لقد دلت الأرض التى افترشها ، واللقيمات التى طعمها ، على الخشونة والشظف . ودل الغناء والصفير على السعادة والسرور ، ودلت النعجة الشاردة على أن السعادة لا تصل إلى حد الكمال ! فعقب الملك على جواب الوزير قائلا: اعلم أيها الوزير ان المال والجاه والقصور والخدائق والخزائن والملك كل هذا لا يثنى النفس عن استلامها اشاغل ما ، ولا يحول بينها وبين هم يشوب سرورها ، أو يطغى عليه ، فلكل أمرى - وان علا - نعجة سوداء !

حامد بدر

---

أشياء ، عرفت فيه وجهه الذى لا أنساه ، فقد كان وجه صديقى الضائع ، وأنكرت منه طرفا من سلوكه مع الناس ومعاملته لمن كان فى صحبته من الرفقاء ، حتى لقد هممت أن أعانقه وأقبله وأقول له: لقد كان لى صديق وجهه يحاكى وجهك ، ولباسه يشبه لباسك ، وكلامه مثل كلامك ، ولكنه يخالف عنك يا صاحبى فيما عدا ذلك . فمن تكون ؟

ولكننى جبنت دون ذلك ولم أفعل ، وبصرت به يرامقنى شزراً من بعيد ، فبادلته النظرة وانصرفت لطيتى مترحما على ماضى الصديق الضائع !

بعد هذا بسنين ، تلقيت منعاة هذا الصديق ، فما أحسنى تفجعت كما تفجعت لفقده ؛ ولا بكيت مثل ما بكيت لموته . لقد فقدته مرتين : مرة يوم قاطعنى ، ومرة يوم مات عنى ، فكأنه مات ميتتين ، سقى الله جدثه وتداركه برحماته .

منصور جاب الله